حتى ميدان الجيش، إلى المدرسة الإسرائيلية، ترتدى الزى الخاص مربعات زرقاء وبيضاء على رداء قصير يكشف باطن الساقين.

يتلهف انتظاراً فى الشرفة، بمجرد ظهورها ينزل إلى الطريق، يمشى خلفها محتفظًا بمسافة لا تثير الشكوك، لكن أمره شاع عند أصحاب المتاجر، والباعة الجائلين، وتجار أدوات البناء الصحية، ورواد المقاهى. يتوقعون ظهور المقتفية أثرها من بعيد، وانحناءته، كل ما يرضيه أن يمشى فى طريق عام تسلكه، استمر ذلك حتى الشهور التالية للعدوان الثلاثى. يبدو أنها ذهبت مع أسرتها، كما بدأ تحويل المدرسة إلى مسار التعليم العادى.

رغم تأكده من غيابها إلا أنه لم يقطع الأمل فى عودتها يومًا، غير أنه كف بعد عام سبعة وستين عن الوقوف فى الشرفة، طرأ تغير على عاداته، يخرج مبكراً ولا يرجع إلا فى الحادية عشرة ليلاً، يلزم حجرته، فى الصيف يفتح نافذتها المطلة على المنور الضيق، المعتم، على الجدار المقابل تمتد ماسورتان متجاورتان، الأولى غليظة للصرف الصحى، الثانية نحيلة لمياه الشرب، قبل اكتمال نعاسه يقوم بسرعة، يغلقها خشية دخول حشرة سامة أو حية قاتلة، لا يعرف ما يخبئه المنور القديم.

يؤكد عطية بك أن ما يحكيه عن الأشمونى حقيقى، ليس من تشنيعاته، اثنان ألمّا بالتفاصيل كافة، أولهما رحل إلى الأبد، المؤسس رحمه الله، الثانى.. صاحبه هذا.

إنه المفتش بمديرية صحة جنوب العاصمة، مهمته المرور على المطاعم بقسم عابدين والسيدة زينب، إذا تغيب أحد زملائه يمكن أن يفتش على الموسكى، والجمالية، أما قصر النيل فلا يتولاه إلا المحظوظون لما يضمه